حجز الحريّة بين المتوحشين

يظنّ اكثر الناس انه كلما زادت الامّة تمدنًا زادت شرائعها ورسومها فتحجز حرية افرادها بمقتضى تلك الشرائع والرسوم وكلما قلت تمدنًا قلت شرائعها ورسومها فتطلق حرية افرادها. على ان من ينظر في احوال المتمدنين والمتوحشين يرى عكس ذلك لاوّل وهلةٍ. لان المتوحشين وان كانوا اقلّ انتظامًا في الهيئة الاجتماعية وادنى إحكامًا للترانيب الاهلية فانهم مقيدون بما لا يحتمل المتمدن التقيّد به شهرًا من الزمان. فاهل استراليا مثلاً ينكرون كل نعمة على الضعيف ويبيحون كل شيء للقوي. ومن شرائعهم ان يخصّصوا احسن الطعام والاملاك والمواشي بالكبار وينكروها على النساء والغلمان. وان لا يزوجوا النساء الاّ بالرجال الكبار او بالمقتدرين واما الشبان فلا يزوجونهم الاّ ان كان لهم اخوات يقايضون بهنّ مقايضة وكانوا قادرين ان يصدوا من يتزوّج اخواتهم بلا مقايضة

وفي اميركا الجنوبية قبائل لا تبيح لنسائها المتزوجات اكل لحم البقر او لحم الفرود ولا تبيح لغير المتزوجات اكل اللحم مطلقًا ولا اكل السمك اذا زاد طوله عن القدم

واهل طحيتي يحللون للرجال اكل لحم الخنزير والطير وبعض الاسماك والجوز الهندي والموز وغيره مما يتدمونه لانفسهم ويحرمون من ذلك مسًّا على النساء زعمًا انهنّ يدنسنه. ويحرمون عليهنّ ايضًا الطبخ على نارٍ يُطبخ عليها للرجال والاكل في الآنية والبيوت التي ياكل فيها الرجال خوفًا من انهنّ يدنسنها ويقتلون كل امرأة تعدّت ما حرموهُ عليها. ولذلك يطبخ نساؤهم وبناتهم طبخهنّ على نارٍ خصوصية ويأكلنَ المآكل الدنيئة في المنازل الحقيرة

وكان سكان مداكسكر قبل ان تمدنوا لا يغيّرون مساكنهم ولا حرفهم الاّ برخصة من الحكومة ويقتلون من لا يستاذن الحكومة في تغييرها

وكان اهل يابان ينامون ويقومون ويأكلون في ساعات معيّنة بالشريعة ولم تزل الحكومة تجري عليهم ذلك لعهدٍ غير بعيد. وكان لهم ايام معينة لا ياكل المسافر فيها مآكل معينة. فلا ياكل المسافر في اول يوم من الشهر دود القز مثلاً وفي ثاني يوم الذرة وفي ثالث يوم قصب السكّر وقس عليهِ الموز والبطاطا الحلوة والارزّ والمربيات والعسل وغير ذلك

وكانت الحكومة في بيرو تبعث المنتشين الى البيوت لحفظها مرتبة وللنظر في قيام افراد العيال بالواجب عليهم بعضهم لبعض. هذا علاوة على رسوم الزي ونحوها من الرسوم التي يستعبد لها المتمدنون والمتوحشون جميعًا